

كيسه من المال مهما تكن حاله وحرفته من أرض غربته. وأما القول بأن هذه الإشاعات هي نتيجة تقارير معتمدي الدولة العثمانية في أميركا فإننا لا ندري كيف أن هؤلاء المعتدين يعثون بتلك التقارير وهم لا يعرفون عن سوريي أميركا من حيث مجموعهم شيئاً تقريباً ولا يعرف السوريون عنهم سوى وجودهم في أميركا.

أنا أكتب عنهن السوريين لا عن سواهم من العثمانيين في أميركا وإذا كان هنالك جمهور من مهاجري أتراك سلانيك وأزمير وسواهما لم يفهموا كيفية التناسل الرزق في أميركا من أبوابه وكان معتدو الدولة في أميركا يعنون بإخوانهم الأتراك المهاجرين (؟) لأنهم أتراك ويهتنون سواهم فهم غير أتراك ويرسنون في أحوالهم التقارير حياً بمصنحهم وغيره عليهم فليس المعنى أن السوريين العرب في أميركا صاروا أتراكاً حتى يصح عندهم ما أذاعه عنهم والي بيروت اعتماداً على ما أرسله معتدو الدولة في أميركا بهذا الباب.

أميركا:

يوسف جرجس زخم.

مقابر المصريين وجنائزهم

في المقابر المنفية

ابتدأت المقابر بنحود تحت الثرى تدفن فيها الأموات بعد درجها في لفائف الأكفان إما مباشرة في جوف الأرض أو في جوار كبيرة من الخزف ويظن أنه سرى لهم ذلك اقتداءً بقبايل حين قتل أخاه هابيل وعجز عن موارد سواته فبعث الله غراباً لبرية كيف يواري سواة أخيه ففعلوا مثله.

وأقدم الجثث ما وجد مقرفاً على الهيئة التي خنقت بها في أحشاء الأمهات سولا الرأس فإنه يبقى متصباً لا منطوياً بين الرجنين وقد وجد منها العدد الكثير في وادي القطار بجوار أطفح من الجهة القبيلة الشرقية وفي جهة أبي صير التابعة لمديرية الفيوم وفي نقاده والكوامل وأم الجعاب وجبل السنسنة.

ثم استعرت النحود لدفن الفقراء على تمادي الزمن وكان لنوميات في بادئ الأمر ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى يكون هيكل المومية مجتمعاً فترى فيه الركب منضمة إلى الصدر وموضوعة فوق الوجد وتنحد في القبر على جنبها الأيسر تتجه حو الجهة القبيلة.

الحالة الثانية يجمعون عظام الميت بعد تجريدتها عن اللحم ويفصلون الرأس عن العنق بتحيط الرأس وحفظه سنياً وذلك في بعض الموميات.

الحالة الثالثة حرق بعض شيء من الجثة أو حرقها كلها مع بعض الأثاث الذي يتهدأ لوضعه في القبر معها ثم يؤخذ رماد ذلك اخروق ويوضع في قدر.

وقد خالف الفقراء في صناعة النحود ولو الثروة والأعيان فاتخذوا مقابرهم منحوتة في صميم الجبال وعلى الأخص في جبل لويه كالمقابر التي نراها الآن في جوار الأهرام في مديرية الجيزة فإنها آبار تتدئ فوق صخر الجبل ثم بعد عمق يختلف بعداً وطولاً حسباً يشاؤون تنتهي بمنامة مستطيلة يوضع فيها تابوت الميت فهي بهذه الصفة لا تختلف عن مقابرنا الآن إلا بعنق الآبار وقد تكون البئر شبه منزل لمنامة غير ضيق فينحتوها في سفح الجبل ويتركون وجهتها الغربية عالية ويجعلون في آخرها منامة مربعة لدفن الميت فيها ويصورون في الجزء الأعلى الذي ترك فوق السطح على حافة البئر صورة الميت

وبجانبه باب وهي لإرشاد الروح (كما كانوا يعتقدون) عند نزولها من السماء إلى جثتها حيث ترى شبه صاحبها أمامها وباباً معداً لها فلا تضل الوصول إليها ويجعلون تحت هذا الباب الصوري مائدة من الحجر ينصب بجانبها مسنان صغيرتان وقد كان يوضع فوقها الخبز المقدس والشراب ولحم الطيور مما هو مبین بقلم النقش على جدران القبر .

وإن كان الميت من أعيان الدولة أو من سراق القوم شادوا له مطبة وهي بناء جسم مرتفع كاهرم ناقص شكلاً أو كاهرم لمدراج الناقص ويجعلون فيها بئراً منحوتة في صخر الجبل يوصل إلى سرداب طويل يفضي إلى منامة معدة لواراة جثة الميت فتكون المطبة عبارة عن تركيب القبر ثم يرسمون في طول وجهتها من الأعلى نقوشاً تتضمن عنوان صاحب القبر ويكون تحت هذه النقوش المطبقة عنوان باب المكفيرة محلى بالنقوش والصور الدالة على الميت وعلى أهله وذويه وتكسى ظاهر تلك المصاطب بنحيت الأحجار أو يبيتونها بالبن وفي بعض الأحيان يجعلون لبعض المقابر المنحوتة في صخور الجبال قاعات بطرق متواصلة وعلى جدرانها دعوات وصنوات وصور مرسومة بالألوان كما ترى في مقابر سقارة فيستدل من تلك النقوش والصور على عقائدهم الدينية وعلى نسب الميت وسنسه حسب مرتبته في ألواح ترتيباً حسناً من قبيل الحنية والزينة للمكان وفي بعض الأحيان يجعلون أمام القبر أيماناً يعمل فيه مدخل يفضي فيه إلى المنامة وأما المنوك فإنهم ميزوا مدافنهم عن مدافن الرعية بأن جعلوا تحتها أو في حجبها الأماكن اللازمة للجنة أو للأثاث والقرايين والصلوات وشحنوا في بعض الأحيان جدران هذه الأماكن الداخية بالنقوش الدينية الصعبة المعنى وإليها الآن وجه الأثريون مباحثهم ورعايتهم لإيضاحها وحل معضلاتها وتبنى الأهرام بطريقة بسيطة جداً وهي أنهم يتفقدون

أولاً على الرسم المراد إيجاده من البيوت الداخية وعلى ارتفاع الهرم وطول قاعدته وعرضها ثم يسنون هذا الرسم الظاهر البيان إلى المهندس المعماري وهو يقوم بالعمل بقاً للأوامر الصادرة إليه فإذا أنجز الأشغال اللازمة في صخر الجبل من تحت وتفرغ شرع في البناء فكوا الأماكن الداخية المراد كتابتها بالأحجار الملساء ثم يرتفع فوقها البناء فإذا ما علا فوق الأرض جعل البناء على هيئة المطبة المائلة الأجناب أو المستقيم بحيث يجعلها ناقصة عن المقياس المطلوب بمقدار الكسوة الظاهرة التي يغطي بها الهرم بعد بناءه ومتى أتم المطبة الأولى وأراد الشروع في الارتفاع بنى مطبة ثانية فوقها أقل حجماً منها بحيث يجعل في الفضاء الذي ترك في المطبة الأولى زلاقة لنعامل توصل إلى المطبة الثانية وهذه الزلاقة تقام بدون مونة وتبدأ بالرمل والحصا ويستمر العمل من الزلاقة التي فوق الأرض إلى الزلاقة الثانية التي فوق المطبة الأولى حتى تنتهي المطبة الثانية ثم يشروعون في المطبة الثالثة يجعلونها أقل حجماً من الثانية ويقيمون لها زلاقة بالكيفية السابقة وهكذا يستمر البناء في إقامة مسطبة بعد أخرى حتى ينتهي العمل بأخر مطبة فتكون المساطب مدرجة بعضها فوق بعض ثم يهرمون المسطبة العليا ثم الثانية لها وهكذا يستروون في ملئ الفوارغ الموجودة بين المساطب وبعضها متبعين بعض الكسوة الحجرية من القمة إلى القاعدة حتى يتم الهرم أما الأهرام الباقية المقامة بالذبن فإنها كالأهرام المقامة بالأحجار من حيث الوضع والرسم والأماكن السفلى ولا تختلف عنها إلا بالمادة لأنها تقام بوضع اللبن المصوع بالطين وخلط القش بهيئة مدامك بعضها فوق بعض ويكون بين المدمك والآخر طبقة خفيفة من الرمل في مقام المونة لتثبيت الذبن فلا تدركه زلازل الأرض ولا تزعه الزوابع العواصف.

مقابر طيبة

هذه المقابر منحوتة في جوانب الجبل بوادي يعرف الآن ببيان الملوك وبآخر يعرف ببيان الحريم وغالب هذه المقابر يشتمل على طرقات وبيوت وعمد وفيها نقوش بألوان وبدون حفر تتضمن تقديم القرابين وإقامة الصلوات بناءً على ما هو مدون في كتاب الموتى النقوش صورته على حيطان الأهرام.

ولا بد لكل قبر من الباب الوهمي لكونه يقوم مقام الإيوان الذي شاد أمام المقابر مشحوناً بالرسوم والنقوش وينقشون على هذا الباب توسلاً إلى أسوريس أو إلى (خونومو) أو مينو أو أمون أو بيتاح أو أتومو أو (رع) أي إلى معبودات منف وعين شمس التي عمت عبادتها في المدن والقرى في بعض الأقسام بعد أن كانت معبودات للحاضرات الشهيرة تلك هي أوصاف المقابر على وجه عام.

تشيع الجنائز

إذا حضر أحدهم الموت جهزوه مدة سبعين يوماً وهي المقررة عندهم للتحنيط ثم وضعوه فوق سرير جميل كالموجود منه بعض نماذج في المتحف المصري ووضعوا تحت هذا السرير أربعة قدور فيها أحشاؤه التي نزعته من جوفه وقت التحنيط ولكل قدر غطاء له صورة مخطوطة إما كرأس إنسان أو كرأس ابن آوى أو كرأس الباشق أو كرأس القود أي أمها تمثل أولاد حوريس الأربعة وهم (حور) و (أسيت) و (قبح سنو) و (ديوموتف) لمعهد لهم حفظ الأحشاء الضرورية للحياة وفي هذه الأثناء يكون القبر قد قماً واستعد للبيت ويكون نعيه قد بلغ أحبابه ومعارفه حتى إذا أصبح الصباح وحن الوقت (أخفا رأسه في وادي الموتى واجتماعه بالأرض) حسب تعريفهم هنالك تحضر وفود الناس ويرفعون

النعش فتقوم زوجته وخادمتها ويتعلقن بالنعش ويمنعن خروجه من البيت وتأخذهن عبرات الحزن فيكين وينحن ويولولن فتجهد الرجال في خلاص النعش ويخرجونه عنوة من باب داره ثم يسرون به إلى القبر فتبدئ الجنازة بطائفة من العبيد والخدم ومعهم القرايين وهي فطير وأزهار وجرار ماء وقارورات فيها شراب ونوافح عطر وطيور مجهزة فوق سلال وعجل يحبه رجل ليضحى بكفارة لنيت وعنب في بعضها مأكولات وفي بعض تماثيل صغيرة لازمة لروح الميت ومعهم أيضاً صوان فيها صحاف فيها فاكهة حولها جريدة النخل الأخضر.

والطائفة الثانية تحمل الأثاث المعتاد كصناديق الملابس والأرائك التي تفتح وتغلق أو ذات المخادع والسرر الجميلة اللازمة لنيت تليهم خدمة الإصطبل يقنون ربة كاملة الأدوات فيها الجعب والسهام ثم المبراحور يقود عربية يحبها اثنان من جياذ الخيل. والطائفة الثالثة وهي أكثر عدداً من الطائفتين الأولى والثانية تقل القناني وعندراً لقدور الأحشاء ثم قدور الأحشاء نفسها فالوجه المسعار المصوغ من القوى والمصوغ باللون الأزرق والمود بالذهب ثم الأسنحة والقضبان وعصي الإدارة والقلاند والمجلان والنسور المسوطة الأجنحة على هيئة الدائرة لوضعها فوق صدر الميت من قبل الزينة أيام الأعياد ثم السلال والتماثيل الصغيرة وباشقاً برأس إنسان يرمز إلى الروح وقد يكون بعض هذه الأشياء من الذهب المصوب والبعض الآخر مود بالذهب حتى أن كل من رآها مارة أمامه أخذت يبصره لكثرة بجمها وبريقها.

والطائفة الرابعة فيهن النائحات يسرن بضجة وغواش وعبد يصب فوق الأرض من وقت

لآخر بعض نقط من اللبن كأنه يشير إلى إرقاد التراب الشائرة ثم يعقبه قيس متمشح بجند
النمر ينثر بمنقعة من الذهب العطر على جموع الخلق ومن خلفه يأتي النعش وهو على
شكل سفينة أسورس فيها نائحتا أسيو ونفتيس وفي مقعدها الخكم الرضع قد وضعت
جثة الميت محجوبة عن العيون وحوها زوجته وأولاده يليهم أحبابه بأفخر الملابس ويبد
كل واحد عصا يتوكأ عليها ثم يأتي جيران الميت ساترين بدون نظام وعلى هذا الترتيب
تمر الجنائز في الطرقات المعوجة بنظام تام وفيها سفينة النعش فوق السحافة تسحبها
الثيران وتسير الهويبا مستمرة على ذلك مدة ساعات.

فيما يحصل أثناء تشييع الجنائز

متى خرج النعش من بيت الميت كثر البكاء والنحيب وضجت النائحات المأجورة
بالصراخ فيصحن ويقظعن شعورهن ويبدن من الأمور ما استوجب الزافات والحسرات
والأسف الزائد وهذا خلاف ما يحصل من أهل الميت وأحبابه فتراهم في صراخ وأنين
وبكاء وعويل بالساء فهم يتناوبن الرثاء والتأبين طائفة بعد أخرى ويقظن ما معناه:
إلى المغرب مسكن أسوريس. إلى المغرب أنت الذي كنت أحسن الناس وكنت تبغض
الرياء فتجن النائحات ويقظن المعبودات نفسها تنعك لأنك ذاهب أيها الرئيس إلى
المغرب.

هذا ما يحصل من طوائف النساء وأما ما يحصل من سائق الثيران التي تحب النعش فوق
الأرض فإنه يحث هذه الثيران ويقول لها:

إلى المغرب أيها الثيران السابحة للنعش إلى المغرب (إلا ترى) أن سيدكم آت خلفكم
فتجيدهم الأحباب قائلين:

لقد أفل طالع الرجل العظيم الذي طالما أحب الصدق وكره الكذب اهـ.

ثم تستمر الجنازة بعد ذلك في سكوت تام برهة من الزمن وبعدها تصيح إحدى النائحات بالرتاء والندب فجيها النسوة بما يناسب ندبها وهكذا تسير الجنازة بين نعي ونحيب كما هو حاصل الآن في الجنازة وعلى الخصوص في الوجه القبلي وكل من سمع بالجنازة وجب عليه الإسراع بها مراعاة لحاظر أهل الميت ووفاءً بما تقضيه عادات البلاد وكذا كل من حضر قدم واجب التعزية والسنوان قاتلاً إلى المغرب مضيفاً إليها بعض عبارات تشف عن حسن خصال الميت وفضائله ومحاسن أعماله المبرورة وعمما ناله من الرقي والشرف في دار دنياه. وقد يدرجون في تعازيهم ما يشير إلى فناء هذه الدنيا وإلى بقاء الآخرة وإلى التحفظ والوقاية من هول يوم القيامة. ومتى أقبلت الجنازة على شاطئ النيل نزلت حمدة القرايين في السفن المعدة لهم ونزلت النائحات وعائلة الميت في سفن أخرى ويضعون العرش في مقعد السفينة بعد كساء ظاهره إما بالأنسجة المزركشة المدبجة بأنواع الألوان أو بستر من الجند المصوغ بالألوان والمصنوعة صناعة جميلة تشهد لصانعها بالفضل والذوق السليم وفي أثناء جواز النيل يكون الناس وقوفاً في السفن ووجوههم نحو العرش وفيما أسلفنا القول أن هذا العرش صنع على النمط الفلكي السري الذي أعد للعبود أسوريس وأقيمت له عبادة في مدينة العراية ويعرف عندهم باسم نشيت أي مبرقش بنقط سود ونقط بيض أو المرفوع الذكر. وهو رقيق الجسم خفيفة وشكله مستطيل وفي مقدمته ومؤخره زينت من المعدن على هيئة زهرة اللوتس وكلاهما مائلاً ميلاً خفيفاً إلى الأمام يخالفها الراني أهمنا ينوءان لتقل ما في السفينة وما في وسط هذا الفنك مقعد مزين بباقات من جريدة التنخل الأخضر فتطوف حوله زوجة المتوفى وأولادها نائمة ويكون

معها قيمان عليهما لباس وعصابات كزري المعبودتين لاسيس وتفتيس ومحلها خل ف
 النعش لوقايته وي قف القيس المترس على الجنازة أمام النعش وبيده مبخرة يحرق فيها
 البخور وتكون سفينة النائحات خلف سفينة النعش.

أما باقي السفن فإنها تمبح عنى مقربة منها بقوة الجاديف وقوة الرجال وهذا التشيع
 يعرف عندهم بالرحلة أو الانتقال إلى الدار الآخرة فإذا ما رسا النعش على الشاطئ
 استقبله جموع الناس بالتجيل والإكرام مودعين له قائلين:

لقد حان لك الدخول بسلام في القبر فعليك منا السلام فاذهب بسلام إلى العراية واهط
 بسلام نحوها ونحو الغرب اهـ

ولقد لكان لجواز النيل عندهم شأن عظيم لأن الانتقال من هذه الدنيا إلى دار الآخرة
 تختلف أحواله عند الأمم أما المصريون فقد عرفوا المكان الذي تذهب منه الأرواح
 لدخولها في دار البقاء وهو عبارة عن فجوة في الجبل الواقع غربي العراية المدفونة ولا
 يتأتى للأرواح العبور منه في سفينة أسوريس ومن ثم كان عبور الميت للنيل هو استعاد
 روحه وتأمبها لتوجهها نحو الفجوة الأنفة الذكر وهناك تتوقب مجيء الشمس في سفيتها
 فسقى أقبلت بما

فيها من طائفة المعبودات نزلت فيها وسبحت في السماء مخترقة بالنجاة السناوية برسومها
 في أثناء ذلك أما حالة في جنتها ومحلاة بملابسها المعتادة كأنها حية في دار دنياها أو يجمعها
 نائمة في نعش حوله النائحات والقسوس ومن خلفها سفن مشحونة بالقرايين ولقد ذهب
 اليونان بناءً على ما بلغهم من الروايات إلى أن أ^{عسا} المصريين كانوا يفضلون دفنهم في
 العراية بجانب أسوريس هي البقعة المباركة عندهم ولكن عننا من بعض جثث أولئك

الأعيان الذين قيل بدفنيهم في العرابة أنهم منحودون في مقابرهم التي أقاموها في ثمنف أو في بني حسن أو في طبيعة فاتضح أن الرحنة المنصوص عنها في النقوش المصرية القديمة سهي للروح لا للنجد - ولنرجع إلى أمر الجنائز فنقول أن جموع العالم تصيح أثناء تشييع الجنائز وتقول: إلى المغرب إلى المغرب دار الحق لقد نعك وبكاك المكان الذي كنت قواه وتقول الناحات بسلام بسلام اذهب بسلام أيها المدروح إلى المغرب ستراك إن شاء الله يوم الحشر لأنك ستذهب الآن إلى الأرض التي تخرج الناس بعضها ببعض.

ثم تصيح الزوجة قائله يا بعني يا أخي يا حبيي قف واستقر في مكانك ولا تتعد عن المكان الدينوي الذي انت فيه واوجعته مالي أراك ذاهباً إلى السفينة لجتاز النهر - يا أيها الملاحون لا تسرعوا به بل دعوه لأنكم ستعودون إلى منازلكم أما هو فراحل إلى دار الخلود_ لماذا أتى أيتها السفينة الأسورية ونزعت مني هذا الذي يفارقني؟؟

أما الملاحون فلا يعباون بهذه العبارات الخزنة ولا يعيرون لها أذناً واعية بل يقولون كن ثابتاً فوق سطح السفينة لأننا اقربنا إلى الشاطئ.

ومتى أقبلت السفينة المقلنة لنعش بقوة وتصادمت بالشاطئ ربما يقع منها بعض الرجال في النهر وذلك لما تأتي باقي السفن وترسو بجانبها يتساقط منها في لجة النيل بعض القرايين لشدة تلاطمها بالشاطئ لكن لا يفلت أحد لذلك بل يستمر الأحباب في تأبينهم وراثتهم قائلين

ما أسعد هذا المدروح حيث ساعده الحظ فتوجه إلى الراحة في قبره الذي أعده لسنه وسينال من المعبود الرحمة الواسعة فيصح له بالذهاب إلى المغرب محفوظاً بالخدم من جيل لآخر وهذا الرثاء لا يمتعه عن البكاء والعيول.

ثم إنهم يخرجون الموميا من السفينة ويضعونها ثانياً فوق السحافة وتتظم الجنازة في منكبها الأول وتسير في هذا النظام إلى سفح الجبل وهناك يتعذر على الثيران محب النعش فتحسنه الرجال فوق أعناقهم ويسرون به الهويينا إلى باب بالقبر المعد لدفنه حيث يجدون هناك نوع مطبة يوضع النعش عليها فيصرون صندوق الميت فوق كئيب من الرمل ويمعنون وجهه نوحاً العالم كأنه حنيت الجديد صعبة أحيابه وكبائه قد تأهب لرداعهم للدخول في سكة الجديد هنالك يتجدد البكاء والعيول وتعلو الأصوات بالحنين والأنين ويرتفع الصياح والصراخ ويأتي أهل الميت بالأزهار فيضعونها فوق صندوقه ثم يعانقونه ويوعونه فتقول الزوجة:

أنا أختك أيها العظيم فلا تركني فهل تقصد حقيقة أيها الأب العزيز أن أتباعك عنك؟
متى فارقتك صرت وحيداً فهل لك من أنيس يرافقتك - أنا أخاطبك أنت الذي كنت
تود المزاح معي مالي أراك ساكناً لا تكلم اهـ
تكون جاريها في هذا الوقت جاثية حنقها فتقول:
ها قد أخذ سيدي مني وترك خدمه
ثم تقول النائحات :

نوحوا عليه نوحوا وابكوه بلا انقطاع وصيحوا بأعنى أصواتكم (وقولوا) أيها الحالة
العظيم المتوجه إلى أرض الخنود لقد نزعنا منا فالان نخاطبك أنت الذي كنت تحب
حرك رجلك لنشي مالنا نراك مغنولاً مقيداً مكفناً أنت الذي كان لك الكثير من
الملابس الفاخرة وكنت تحب القماش الأبيض مالنا نراك الآن راقداً في ثيابك (التي كانت
عليك) بالأمس

لقد أصبح الذي يبيك (كأنه) يتيم الإمام والقنب محترقاً عينك لما أصابه من الحزن وحائماً حول جثتك وفي أثناء البكاء والعريل عنى الميت يحرق القسيس البخور ويهرق التراب ويقول (هذا) لجثتك أيها المتوفى فلان الصادق القول لدى بالمعبود العظيم عند ذلك تخطف الموميا في جدها وتستقر في ظلمات القبر إلى دهر الدهرين ولما كان القبر مسكناً لنيت كسناكن الدنيا للأحياء رأوا أن يجعنوا سفية أماكن للزينة ومصنى يأتي فيها أهل الميت بالقرايين والضحايا في كل يوم عيد وفيه أماكن خصوية لا يدخلها سوى جثة الميت ويزينون داخل تلك الأماكن بالرسوم والكتابة بعد تمطيها ملاطاً لطيفاً يظهر محاسنها ويجعنون تلك الرسوم ألواحاً متعاقبة يعنو بعضها بعضاً بهندام ونظام حتى تصل إلى السقف فيصرون حرث الأرض والزراعة والحصيد وتخزين الغلال وتربية الحيوانات وصيد البر والبحر ومعامل التجارين وصناع العربات والنقاشين والصناعة والزجاجين والخبازين وتحضر الطعام واستعداد الموائد مرفقة بالأغاني ورقص العوالم ول ذلك طلاسهم يعتقدون أنها تتحول إلى حقائق بسر صيغ يتولونها ليتنع به الميت في قبره فإن اشتهى شيئاً يتغذى فما عليه إلا أن يختار ما شاء من الأبقار أو الأشياء الأخرى المرسومة في قبره ومتى وقع نظره عليها تحولت إلى حقيقة وتندذ بها كما كان يتندذ في دار دنياه تلك هي عقائدهم التي ساقهم إلى زخرف المقابر ولذلك ترى في رسومهم صورة صاحب القبر قد أخذت فخذ الثور من يد خادمها وتغذت منه هذا بما تفعله أموات فقرائهم.

أما أموات الأغنياء وأرباب المظاهر فإنهم لا يحتاجون غالب الأحيان في أوائل موثم إلى شيء من الرسوم عنى جدران القبور لأن أهلهم وذويهم يقدمون لهم في المواسم وغيرها ما تشهيه أنفسهم من المآكل والمشارب فيذبحون الضحايا من بقر وإوز ويقدمون بالبيذ

والجمعة وغيرهما إلى أمون أو سوريس أو فتاح أو خونسو فيأخذ المعبود شيئاً منها لنفسه ويرسل الباقي إلى الميت المراد تلك القرابين ومن ثم وجدت الأوقاف عنى الموات وبنوها عنى شروط كانوا يبرمونها مع قسوس المعابد هؤلاء يقدمون ما هو موقوف للقبر من الأشياء ويقومون بالصنوات والدعوات في الأوقات المعينة وعليه كانت العناية بإحياء ذكر الأموات من الأمور المهمة عندهم لكن مع وجود هذه العناية ومرور المدد الطويلة عنى الأوقاف كان ينتهي أمرها بالانقطاع إما لانقراض العائلة واندراسها أو تبديد الأوقاف عقب الانقلابات الكبيرة وبذلك ينقطع الوارد عن الميت فعندئذ لا يجد أمامه إلا ما هو مرسوم فوق جدران قبره لكن كيف يتسنى لتبنيث لقيام والقعود واستمرار الحركة مع أن الموت أفقد ذلك والتبصير حول جثته إلى جسم حراك له ولا قدرة فلا يستطيع المشي ولا بالتكلم ولا النظر ولا تأدية شيء من الوظائف التي عنىها مدار الوجود فلأجل خلاص الجثة من هذه المقيدات المعطنة لعامة حركات الجسم أوجدوا طريق يسمونها (فتح الفم) وهي أن رئيس القسوس وأعرانه وهم أولاد حوربس يوقفون الجثة اخططة فوق كيب من الرمل في آخر المصنى المعدة لها ويقرأون عنىها الصيغة المقدسة السرية التي تلاها حوريس عنى جثة أسوريس ثم يطهرونها بالماء القراح وبالماء الأحمر ويخرون الجنوب وبالشب الوارد من الوجه البحري كما يفعل لتنايل المعبودات عند الشروع في تقديم الضحايا لهم ثم يعنون له العمل اللازم لإيقاظه من السبات والأمانة وللخلاص من لفائف الأكفان ويرجعون له الظل الذي تقلص منه وقت خروج روحه ويردون إليه جميع حركاته فيصير جسده اخط حياً في عقيدتم فيتغذى ويتنعم في ديار دنياه فإذا كان الجزارون يذبحون ثور الجنوب ويقطعونه بعد دفن الميت أسرع القسيس بتناول فتخذ الثور

وبتقديمه لضم الوجه المستعار الموضوع فوق رأس الجثة المخططة لاعتقاده أنها حية وأنها تتناول شيئاً من ذلك ولما يجد عدم الفائدة يأخذ آلة من خشب لها أنصال من حديد ويشير بها على فمخ الجثة مريداً بذلك فتح فمها ثم يتلو صيغة على الموميا فيصبح في استطاعتها حسب عقيدتهم الذهاب والإياب والسبع والكلام وتتناول شيء من القرايين التي تقدم لها بل تستطيع أن تدعو كل من رافقها في يوم الجنازة إلى أول ولينة تقدم لها في قبرها بعد الدفن وذلك أهم متى وضعوا تابوت الجثة في منامتها أنت العبيد بالقرايين وبالقدور الأربعة التي فيها أحشاء الميت والصناديق والأثاث والمأكولات التي أحضروها مع الجنازة فيتلو عليها القسيس صلاة معنومة عندهم بعد وضعها في القبر ثم يخرج من عندها ويقيم عليها البناؤون سداً محكماً في نور المشاعل وبعد تعجيز هذا العمل تقدم العبيد مائدة للحاضرين أمام القبر أو في المصلى فيحضر في هذه الوليمة تمثال الميت المرسوم رسماً بارزاً في آخر القاعة الثانية ويتوهمون أنه يتناول ما يخصه من هذه الوليمة حسب عقيدتهم القاضية بأن للأشياء روحاً وشجراً كمن للإنسان والحيوان فتى ذهبت الموميا إلى قبرها تنبها الحياة وتتبع بفضائلها كما كانت في دار دنياها فالشيخ الموهوم للكرسي أو للسرير هو كرسي وسرير حقيقي لجثة الإنسان المدفونة فيتبع بها ويتلذذ بما يقدم من الشراب والنحوم لعالم الجنازة كما كأنها حية معهم وبيننا يكونون مغسورين في ملاذ المطاعم تشتغل النساء بالرقص والقصف ويشرن في أغانيهن تارة إلى الميت وطوراً إلى الأحياء مع مراعاة السجع فيقنن:

اكتب حظ يومك ما الحياة إلا لحظة اكتب حظ يومك لأنك متى دخنت قبرك
مكثت فيه مكوثاً أزلياً إلى دهر الدهارين.

فإذا انقضت هذه الوليمة تأهب الجوع للرحيل فعندئذ يقوم العواد أمام بيت التثال ويده العود ويشرع في نشيد الأغاني القديمة فيقول ما معناه:

الدنيا دار انقلاب وتجدد مستمر إذ الأمر الذي قضى به أسوريس المعبود الكبير من الغرابة بمكان وهو أنه من حسن القضاء (والقدر) إنه كلما في جسم وانقضى حل غيره مكانه وهذا معروف من قديم الزمان (كيف لا) وأن الفراعنة الأول الذين كانوا يعبدون ودفنوا في أهرامهم ودفنوا معهم في تلك الأهرام جسهم وأشباحهم تركوا ما كان لهم من مقاعد القصور التي شيدوها فانقضى نجهم فلا تأس (أيها الحي) بل اتبع شهواتك وسرورك قدر ما تستطيع وطول ما تعيش في هذه الدنيا فلا تضي نفسك إلى أن يأتيك اليوم الذي يرسل فيه الإنسان إلى أسوريس صاحب القنب الثابت فلا يسع لـ كل بكاء الناس لا يفيد الميت الذي في قبره فاكذب حظ يومك ولا قهل ما فيه مسرتك فممن يستطع أحد أخذ شيء من أمواله إلى دار آخرته ولا أحد ذهب إليها وعاد اهـ.

أما اعتقادهم في الجثة فعضوهم يقول أنها تبقى في القبر مرتابة الوجود قلينة التحس بنفسها فلا ترحه إلا إذا انقطع عنها وارد المؤونة أي القرابين التي تقدم لها من لدن أهلها واعتراها الجوع ويحكون هم يرونها هائنة في القرى وتنقي نفسها بشراهة على البقايا الموجودة فوق الأرض وعلى أقب القاذورات ويحدث عندها القحط عوامل الغيظ وحب الانتقام من الأحياء الذين أهملوا أمرها فتهجم عليهم وتعنفهم وتجدد فيهم الأمراض ويحكون أيضاً أن بعض الجثث أو أشباحها مع تقديم القرابين لها والقيام بما ينزماها فإنها شرسة الطبع فتحنها شراستها على اضطهاد أقرب أهلها فقد جاء عنهم في الآثار أن رجلاً أحسن معاشرة زوجته واقام لها جنازة فاخرة يوم وفاتها وأوقف لها أشياء

كثيرة إلا أنها تقصده بالأذى فكانت تأتيه كل يوم هيئات قطعة ولم يتيسر له الخلاص من سوء أعمالها فلما فرغت جعة عبره ولم يستطع تكبد هذا التعنيف المستمر كتب لها جواباً ذكر لها فيها حسن المعاشرة والتودد الذي كان بينها وسألها عن الأسباب التي دعته إلى هذه الأعمال السيئة فقال لها ما تعريده:

منذ صرت زوجاً لك إلى هذا اليوم ما الذي فعلته نكاية فيك وأخفيه عنك ماذا تفعلين حينما أعترف (أمام الرب) بما فعلته لك يوم عرضنا عليه أمام مجلسه حينما أدافع بنفسى عن مظنتى أمام معبودات الآخرة وبحكم عينك بناء على ما أحرره لهم في مظنتى من مساويك (أخبرينى) ماذا تفعلين اهـ.

ثم أنه علق هذه الكتابة في قنثال من خشب على هيئة المرأة ووضعها في قبر زوجته فلما وصنها هذا الجواب خافت من لقاء ربها ومحاسبتها أراحتة من تعنيفها وكثير منهم يقول أن الروح تغادر قبرها وتهاجر إلى أرض أخرى كائنة خلف الفجوة الأنفة الذكر وهي الواقعة في جبل العرابية وفي تلك الأرض ممالك حقيقية للأموات كل مملكة تحت رعاية معبود مثل ختامنتى وبتاح سكري وأسوريس وهذه المعبودات تقتل أرواح المصريين الذين عبودهم في دار دنياهم فكل من توسل مثلاً إلى أسوريس كان تابعاً له وفي مملكته وكل من انتسب إلى بتاح سكري كان من أتباعه وفي مملكته وسمى وميق أسوريس أو وميق ختيامتي وأمر تلك الممالك وأكثرها سكاناً مملكة أسوريس وهي عبارة عن جملة جزر نرى من هذه الدنيا أكتافها الظاهرة فجهتها البحرية الشرقية السناء ووجهتها الشرقية الحجرية وزهى الشهيرة بأم النجوم. ولا يمكن الوصول إليها إلا بعد سفر دونه مشاق وأخطار فنتى غادرت الروح جدتها جعلت ظهرها نحو الوادي وزجت بكل جسرة

وجرأة في أغوار الصحراء فتصادفها إحدى الجميزات الباسقات هناك في وسط الرمال وتعرف عند فلاحهم بالشجرة المسحورة فتشاهد بين أفنانها أما المعبودة (نيت) أو (حاتحور) أو (نوت) فقدم لها هذه المعبودة صفحة بها خبز وأخرى بها ماء فكل روح قبذت هذه العطية كانت من أتباع هذه المعبودة ولا يمكنها الخروج من مملكها إلا بإذنها ورضاها ويوجد فيما وراء الجزيرة بلاد محفوف بالمخاوف مشحونة بالثعابين والحيوانات الضارية وفيها سهول فيها حميم وأباطح تسكنها نسائيس كبيرة تصطاد الرواح بالخيال يحكون أن كثيراً من الأرواح وقعت في تلك المخاطر فهلكت أما ما يكون منها محصناً بالتأمم والتعاويد متوقياً بسر الطلاسم السحرية القوية فإنها تقتحم الأخطار وتنجو منها حتى تصل إلى شاطئ بحيرة تسمى (خا) فتشاهد هناك الجزائر السعيدة فيأتيها بحوت على شكل طائر أبيس المعروف (بأبي نحس) ويأخذها على جناحه أو يأتيها الملاح المقدس ويأخذها في سفينته إلى أن يأتي بها إلى أسوريس فيسأطأ هذا المعبود أمام أعضائه وهم اثنان وأربعون قاضياً عن أعمالها في دار دنياها ويناقشها الحساب ويزن قلبها تحوت في كفة ميزانه وحينئذ تأتيها معبودة يقال لها (معيت) أي العدالة فتلقنها الاعترافات السنبية لتبرأ كم كل قنمة توجهت إليها ثم تدخل بعدئذ في رياض يقال له (سخيت أيالو) في زمرة الأرواح السعيدة وهي أراض طيبة الخصوبة يعنو فيها القنح إلى سبعة أذرع بما في ذلك السنابل التي تبلغ ارتفاع الواحدة منها ذراعين.

والموتى هم المكثفون بزراعته وجمع محصولاته وتخزين الغلال وقد ينوب عنهم في هذا العمل الشاق تماثيل صغيرة توضع بجانب جثثهم في القبور ويقال لها (شقي) أي الجسيمة

وقت نداء صاحبها لمباشرة أعمال الفلاحة في حقل (أيالو) المذكور في الأوقات المعينة أما باقي أوقاتها فتكون في ولائم مستمرة وفي أغاني ومسامرات ومسرات لا نهاية لها. وكثير منهم يقول بطلان هذه العقيدة وفسادها لما فيها من الخشونة والفظاعة وهؤلاء كانوا يجتهدون في الوقوف على الحقائق وينسبون للأرواح درجة أشرف وأرقى من ذلك. وكان لكهنته (أمونرع) مذاهب في حقيقة ما تزول إليه الروح وكلها ضروب من تخمين اللاهوتيين لا دخل لأفراد الشعب فيها ومضونها أن الإنسان سيبعث بعد موته ولا يعلم سر ذلك إلا الله الخفي اهـ.

الرأي الصريح

في مقال الفصح العامي والعامي الفصح.

قرأت في الجزء العاشر من مجلة المقتبس مقالاً بعنوان الفصح العامي والعامي الفصح لحضرة الفاضل نعم أفندي مكرزل صاحب جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك. قرأته بنهف شديد لأني أميل بسائق من طبعي إلى المباحث اللغوية نقد كلام البنغاء وتمييز القول الفصح من الغث الركين. ليكون لي من ذلك مادة استعين بها. وقاعدة أحتذي مثالها: أقدمت على تصفح هذه المقالة وأنا معجب بأولئك نفر من أخواننا العرب الميحين الذين هاجروا وطنهم ولكنهم لم يهجروا لغتهم. ولم يذلوها في غربتها. بل رفعوا شأنها وحفظوا كرامتها. بما نشروه من الجرائد. وبجوه من الرسائل والكتابات المفيدة. وحضرة نعم أفندي من هؤلاء الأفاضل الذين خدموا لغتنا العربية بما نشروه في جريدة (الهدى) التي لم أك من قراءها وإنما كنت أقرأ أحياناً نبذاً منها في صحافتنا العربية أما مقال